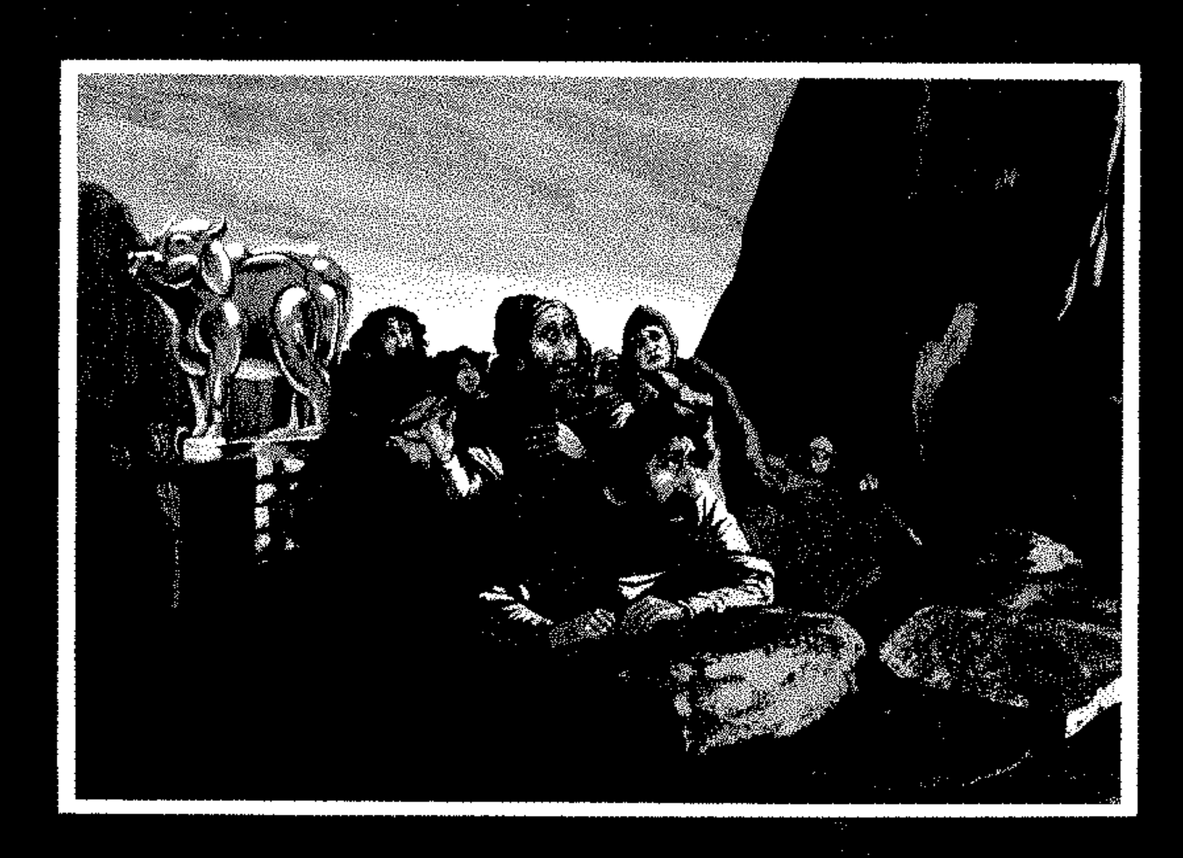


السامري والعجل

قلم: أحمد بهجت ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعة الثانية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الثالثة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

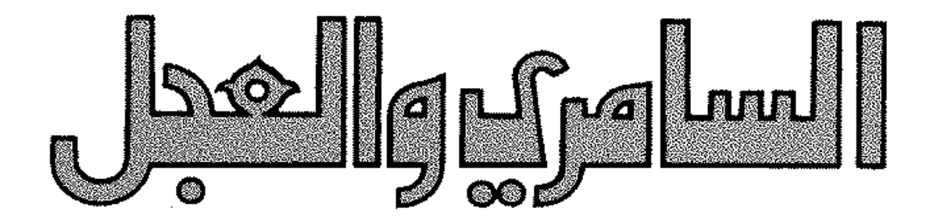
الطبعة الرابعة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني : email: dar@shorouk.com

قصص القرآن



قلم : أحمد بهجت   ريشة : مصطفى حسين

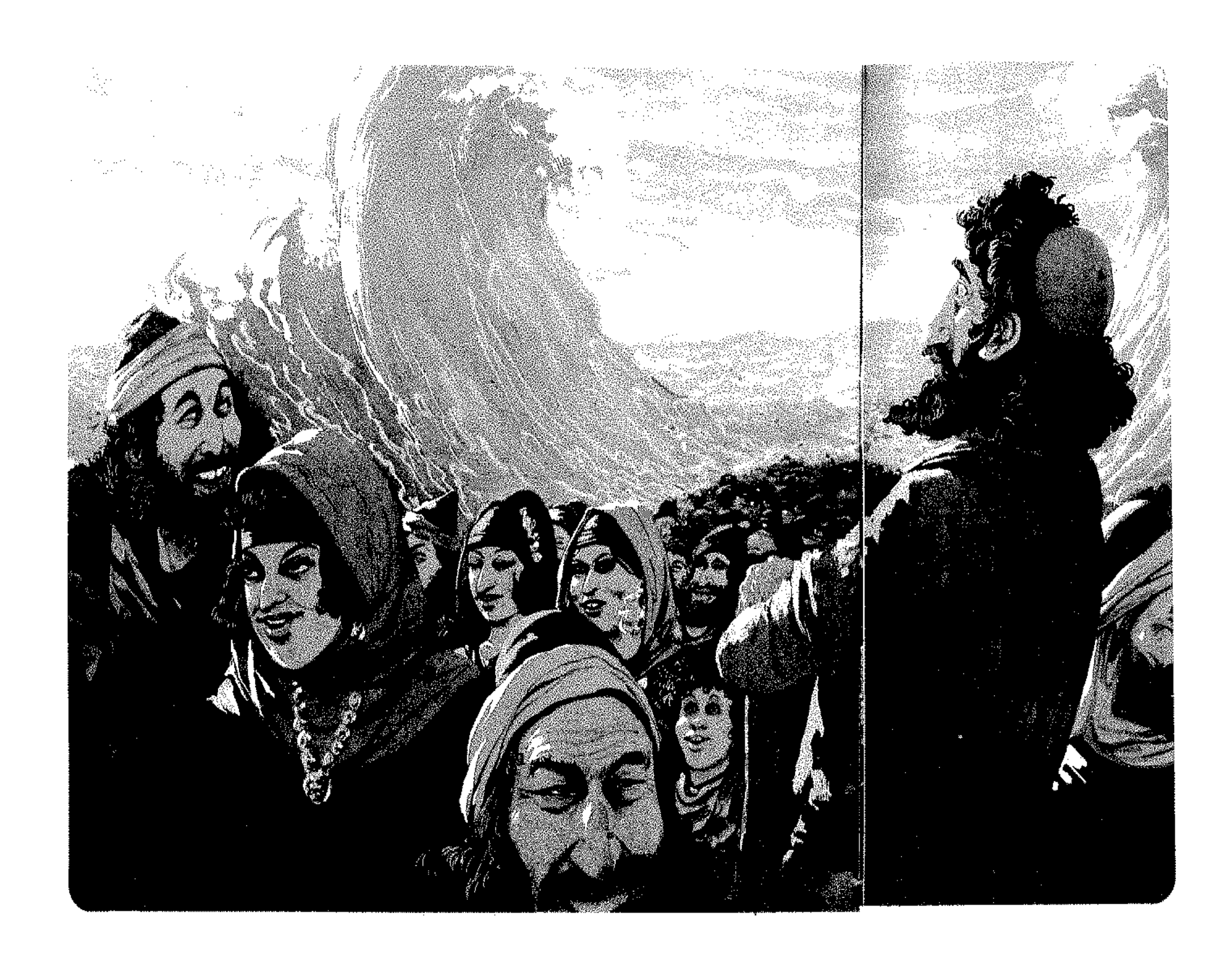
دار الشروق

السَّامِريُّ رجُـلاً من بني إسرائيلَ ، وقد خرجَ معهُم حين خَرجوا من مصرَ . .

وقد لاحظَ السَّامريُّ أمرينِ وهو يَسيرُ مع قـومِ مُـوسَى بعـدَ هـلاكِ فِـرعـونَ وجُنودِه ونجاةِ بني إسرائيلَ .

لاحظ أن بني إسـرائيـلَ كـانـوا قـد آقترَضوا من المصريِّينَ كثيراً من الحِليْ الذَّهبِ ـ كعادةِ الخدمِ حين يَقترضـونَ من سـادتِهم بعضَ حِليهِم للظُّهـورِ بهـا في حفـلٍ أو مناسبةٍ ، ثم يَـرُدُّونَـها بعد ذلـك ـ لكن المِصـريِّينَ هَـلِكـوا في البحـر . . وبذلـكَ صارَ الـذهبُ مُلكـاً لبني إسرائيلَ .

كـان السَّـامـريُّ يُفكِّـرُ في هـذا الذهبِ ، وكان هذا آكتشافُهُ الأوَّل . . أما مُلاحظتُه الثَّـانيةُ أو آكتشـافُه الثـاني فكان عجباً . .



لاحظَ أن هناكَ فارساً جليلاً وغامضاً لا يظهرُ وجهُهُ يَتَقَدَّمُ قافِلةَ موسىٰ ، وقد ظهـرَ هـذا الفـارسُ حين آنشقَّ البحـرُ لِمـوسىٰ ، وكَـان حـافـرُ حِصـانِ هـذا الفارسِ الكريمِ لا يقـعُ على شيءٍ إلا دَبَّت فيه الحياةُ ونَبتَ فيه الزَّرعُ .

وأدرك السَّـامـريُّ أن هــذا حِصـانُ جبـريـلَ عليـه السَّـلام ، وآنحنىٰ على الأرضِ وقَبضَ قَبضَـةً من أثَـرِ هــذا الـرَّسولِ الكـريم جِبريـلَ ووضعَها في ثيابه . .

جاوزَ بنو إسرائيلَ البحرَ . . وساروا قليـلاً في سِينـاءَ . . مـرُّوا على قـومٍ يَعكِفونَ على عِبادةِ أَصنامِهِم . . وَقفوا يتأمَّلونَ المشهدَ بإعجابٍ خفيٍّ .

كان المَفروض أَن بني إسرائيلَ هم حَمَلةُ التَّوحيدِ في الأرضِ في هذا الزمانِ البَعيدِ . . كان المَفروض أَنهم شاهَدوا المُعجزَةَ الكُبرىٰ التي وَقعتْ لهم بِشقِّ البحر . . كان المَفرُوض أن يكُونوا مُدركينَ أن جيشَ فِرعونَ قد غرِقَ لِكُفرِه بالله ، وأَنهم نَجوا لإيمانِهم بالله . .

رغمَ كل هذهِ الحَقائِق .

لم يكدْ بنو إسرائيلَ يَشهدونَ قوماً يَعْبُدونَ أَصناماً لهم حتى آستيقَظَ فيهم حَنِينُهُم لِعِبادةِ الأصنامِ . . وتذكَّروا أَيامَ كانوا خدماً وعبيداً عند المصريِّينَ ، وكيف كان سادَتُهم يَعبُدونَ أصناماً كثيرةً تَنْتَهي في قِمَّتِها بفرعونَ ، ويبدو أن رَغبةَ بني إسرائيلَ في عبادةِ شيءٍ ملموسٍ تَرجمتْ عن نَفسها حين قالوا لِموسىٰ :



﴿ يَا مُوسىٰ . . ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ . .

غضِبَ موسىٰ وقالَ : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ . . ﴿ أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . . كيف تُريدونَ العَودةَ إلى عِبادةِ الأصنامِ وأَنتم أهلُ تَوحيدٍ ؟

آستَمَع بنو إسرائِيلَ لقولِ موسىٰ وَسكتوا . . ولاحظَ السَّامريُّ هذا كُلَّه . . وبدأَ ذِهنُه يعملُ .

وقعتْ مُشاجراتٌ كثيرةٌ بين بني إسرائيلَ . . كان مَصْدرُها ذهبُ المِصريِّينَ الذي حَملُوه معهُم حين خَرجوا من مِصرَ . لقد صارَ هذا الذهبُ الآن مُلكاً لهم بعد أَن آنطبقَ البحرُ على جيشِ فِرعونَ وجُنُوده . .

وبدأ كلُّ واحدٍ من بني إسرائيلَ يعتبرُ أن الذَّهبَ قد صارَ من حقِّهِ ، وراحَ الناسُ يُفكِّرونَ ماذا يَفعلونَ بهذا الذَّهبِ .

وتَشاجرَ البعضُ منهم على الذَّهبِ وآدّعىٰ بعضُهم أن ذهبَ الآخرينَ مِلكٌ له . .

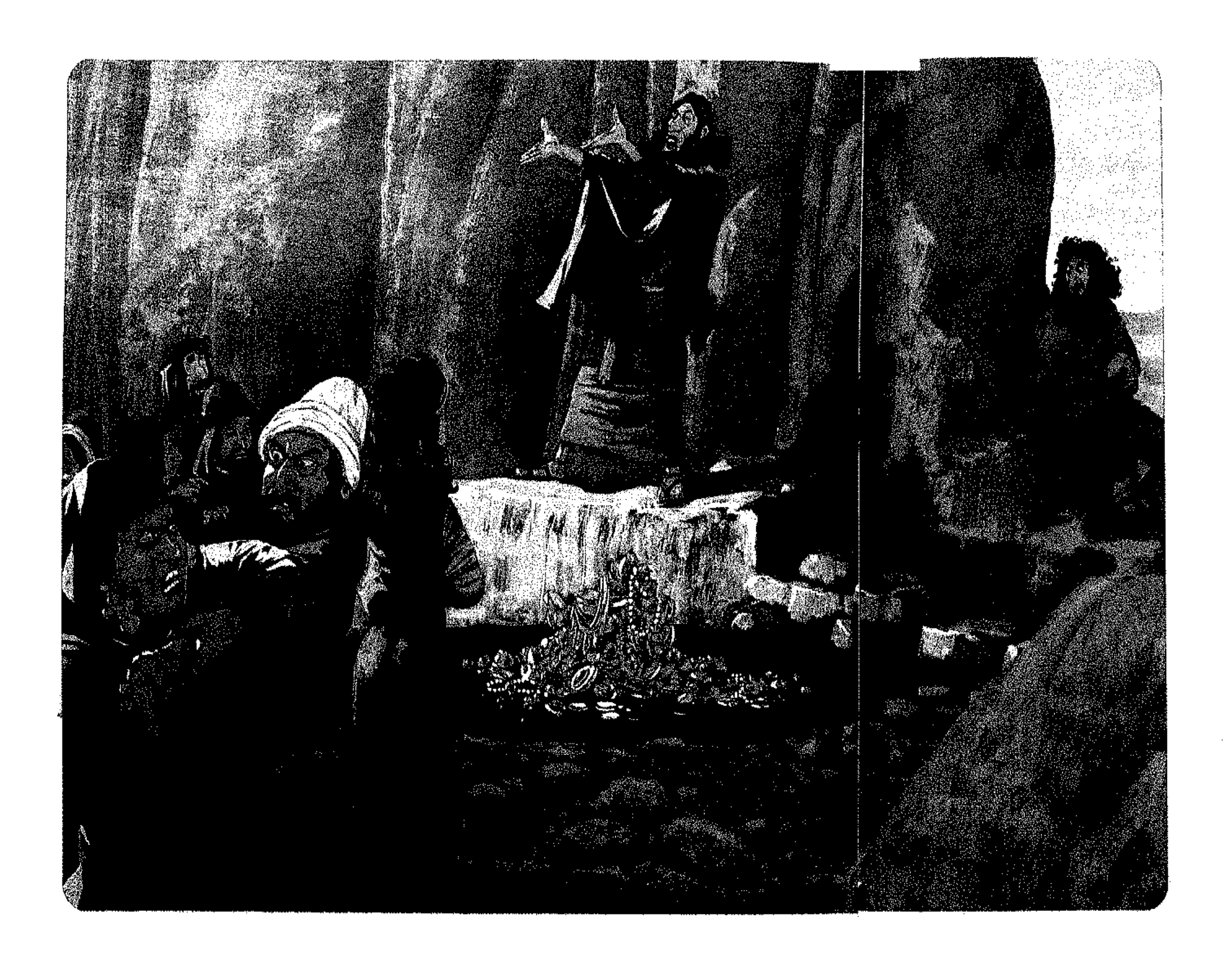
ولاحظَ هارونُ هذا كلَّه فأَبلغَ موسىٰ ، فأمره موسىٰ أن يَجمعَ الحِليٰ الذَّهبَ من بني إسرائيلَ كلَّها ويَدفُنَها في الأرضِ . . وكلَّف هارونُ رجلاً فاضلاً من بني إسرائيلَ أن يجمعَ الذهبَ منهم ، ويُسلِّمَه إليه . .

فَردَ رسولُ هارُونَ عباءَتَه على الأرضِ حتى آمتلأتْ بالحِليٰ الذَّهبِ ، وحملها إلى هارُون ، الذي حَمَلها بِدورِه إلى موسىٰ . .

وأمرَ مُوسىٰ أن تُحفَرَ لها في الأرض حُفرةٌ يُلقىٰ فيها الذهبُ كما هو في العباءَةِ . . ومضىٰ يهيلُ الترابَ عليه وهو يقولُ :

ـ هذا ذهبُ المِصريِّينَ . . وهو ليس من حقِّنا . . وفِتنتُه أكبرُ من فائِدتِه .

كان السَّامريُّ يلاحظُ هذا كلَّه وراح ذِهنُه يعملُ بِسرعةِ البرقِ لاحظَ المكانَ الذِي دَفنَ فيه مُوسىٰ الذهبَ . . وعرفَ كيف يصلُ إلى المكان إذا أرادَ . . وعبرتْ ذِهنَه صورةُ العِجلِ أبِيس . . معبود المِصريِّين . . وهم يحتفِلونَ بهِ . . وراحتْ صورةُ الحِليٰ الذَّهبية ، وصورةُ القبضةِ التي قَبضها من أثرِ الرسولِ جِبريلَ عليه السَّلام ، راحتِ الصورتانِ تعبُرانِ ذهنَه وتَلحَّانِ عليه إلحاحاً . .



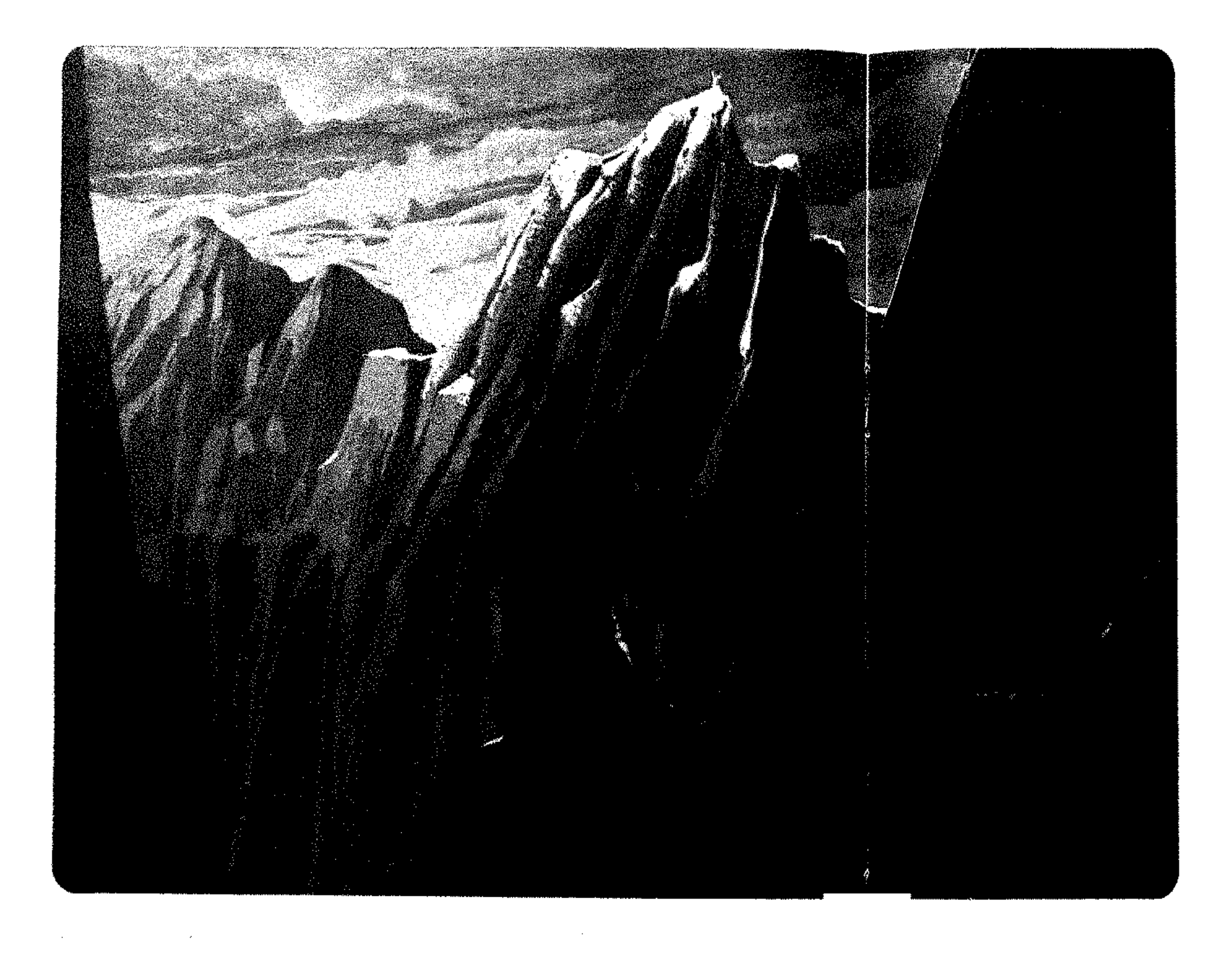
خرجَ موسى عليه السَّلام لِمُلاقاتِ ربِّه . . قالَ لأخيهِ هارونَ :

﴿ **ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ .

سار مُوسىٰ طَويلاً في الصَّحراءِ حتى ٱنتهىٰ إلى الوَادي الذي ناداهُ الله عزَّ وجلَّ فيه أوّل مرةٍ . .

عبرَ الوادي المُقدَّس وصَعدَ الجبلَ وبدأ يُهيِّىءُ نفسَه لِميقاتِه مع الله . . كان يصومُ النهارَ كلَّه ويَتعبَّدُ الليلَ كلَّه . . كانتْ نفسُه ترتفِعُ من كمالٍ إلى كمالٍ أعظَم ، وكان الله تعالىٰ يفيضُ عليه من التَّجلياتِ والأنوارِ . .

ووسطَ جلالِ الجِبالِ وٱمتدادِ السماءِ وحركةِ السُّحبِ . . بدا موسى مِثل نُقطةٍ صَغيرةٍ وسطَ هذا الجَلالِ الكونيِّ الذي يَتلقَّى من اللّهِ فُيوضَ أنوارِه . .



وأتمَّ موسى ميقاتَ ربِّه أربعينَ ليلةٍ . . وكلَّمهُ الله تعالىٰ تكليماً . .

أنزلَ عليه التَّوراةَ . .

وسألَه الله تعالىٰ لماذا سَبقَ قَومَه وجاءَ إليهِ . .

﴿ **قَالَ : هُمْ أُوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي . . وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾ . .

عندئذٍ حدَّثه الله تَعالىٰ أن قومَه قد ٱفتُتِنوا من بعدِه . . حدَّثُه اللّهُ عمَّن أضَلَّهُم .

كان السَّامريُّ هو الجاني الذي أخبرَ الله بٱسمِه . .

لم يكدْ موسىٰ يَخرجُ لِميقاتِ ربِّه حتى بدأ عقلُ السَّامريِّ يعملُ . . تأمَّلَ أحوالَ بني إسرائيلَ وأدركَ أن القومَ

يتحرَّقونَ شَوقاً إلى عبادةِ شيءٍ مَلموسٍ . .

كانتْ هناكَ رغبةٌ عامةٌ في الوثَنيةِ . .

وكان كلُّ ما فَعَله السَّامريُّ أنه آستجابَ للرَّغبة العامةِ ، وهكذا تسلَّلَ في جنحِ اللّيلِ إلى المكانِ الذي دَفنوا فيه ذَهبَ المِصريِّينَ ، وآستخرجَه وأوقدَ ناراً وبدأ يصهرُ الذهبَ . . كان يُفكِّرُ في العِجلِ أبيس . . معبودِ المِصريِّين القَديمِ . . وقررَ أن يَهدي بني إسرائيلَ عِجلاً مثله . .

ألَمْ يقولوا حينَ رأوا عَبَدةَ الأصنامِ : آجعلْ لنا إلهاً كما لهُم آلهةٌ . . سَيُحقِّقُ لهم السَّامريُّ هذه الرغبةَ . .

بدأ يصنعُ قالباً لعجلٍ ، ثم وضعَ فيه الذهبَ الذي آنصهَر ، ووضع مع الذهبِ قبضةَ الحياةِ التي قَبضها من تُرابٍ سارَ عليه جبريل . . وآنهمكَ طوالَ الليلِ كله يصنعُ تمثالَه . .

حتى إذا وافَى الليلُ نِهايتَه كان السَّامريُّ قد آنتهَى من صُنعِ عِجلهِ الذَّهبيِّ . . وكان العِجلُ لِدَهشتِه يَخورُ مِثلَ عِجلٍ حقيقيٍّ . . أهي قبضةُ الحياةِ التي تجعلُه يخورُ . .أم هو الهواءُ الذي يَدخلُ من ظهرِهِ ويخرجُ من فمِه ؟ مَهما يكُن من أمرٍ . . فقد آنتهىٰ السَّامريُّ من صُنعِ مُؤامراتِه . . وقررَ وهو يتأمَّلُ العِجلَ أن يُقدمَه هديةً لبني إسرائيلَ بوصفِهِ إلٰهَهُم الجديدُ . . وإله موسىٰ . .

سَيقولونَ له : ولكنَّ موسىٰ خرجَ لِلقاءِ إلٰهِه . .

سَيقولُ لهم : لقد نَسيَ موسىٰ . .
خَرجَ لِلقاءِ إلٰهِه هناكَ، بينمَا هو هنا . .
هٰكذا حدَّثَ السَّامريُّ نَفسَهُ . .
آستيقظَ بنو إسرائيلَ فوجدوا حُلمَهُم قد تحقَّقَ . .
شاهَدوا العِجلَ الذهبيَّ الذي صنعَه السَّامريُّ ، وكان يقفُ جِوارهُ وهو يبتسمُ بذكاءٍ يُحاوِلُ عَبثاً أن يُضفي على سِحنتِه علائِمَ الطِّيبةِ .
خرَّ بنو إسرائيلَ أمامَ العِجل ورَاحوا يَتعبَّدون له ، ويَذكُرونَ كيفَ كان سادتُهم من المِصريِّين يَصنعونَ أَمامَ عِجلِهم المَعبودِ . . ويُحاولونَ تَقليدَهُم . .
ووصلَ الخبرُ لهارون أن بني إسرائيلَ الذين نجَّاهُم اللّٰهُ من فِرعونَ يَعبُدونَ عِجلًا من الذهبِ . .
هرعَ هارون فوجدَ القَومَ يرقُصونَ حولَ العِجلِ ويتواجَدونَ .
وقفَ يَصرخُ فيهم : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي** ﴾ . .
لكن القومَ لم يعبأوا بصرختِهِ . . ولا سمعُوا تَحذيراته المُتكرِّرةِ بِفَسادِ ما يَعملونَه وضلالِه . .
وقامتِ الفِتنةُ في بني إسرائيلَ . . آنقسمُوا إلى قِسمينِ . . الأغلبيةُ الكافِرةُ طَاوعتْ حَنينَها لِعِبادةِ الأصنام ، والأقلِّيةُ المُؤمنةُ أدركتْ أن هذا هراءٌ . وعادَ هارونُ يَعِظُهم ويُذكِّرُهم بِمُعجزاتِ الله التي آثرهُم بها وأنقذَهُم بها ، ولكنَّ بني إسرائيلَ رَفضوا مَوعِظتَه وآستهانوا بنصيحتِه وآستضْعفُوه وكادوا يَقتُلونَه . .
وخَشيَ هارونُ أن يقومَ الصِّراعُ بين عَبدةِ العِجلِ والمُنكِرينَ لِعبادتِه ،

وخَشيَ أنْ يَقتتِـل بنـو إسـرائيـل ، ولم يكُن موسىٰ موجـوداً ، ومن ثمَّ فقد آثـرَ هارونُ أن يؤجِّلَ المُشكلةَ حتى يصلَ .

عادَ موسىٰ غَضبان أسفاً . .

ألقى ألـواحَ التَّوراةِ من يـدهِ وصـرخَ في قومه :

﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ .

ثم تَقـدَّمَ نحو أخيهِ وأمسـكَ بـه من شَعرِ لِحيتِه وشَعر رَأسهِ . . وشـدَّهُ نَحوهُ وهو يَسأله بِغَضبٍ :

﴿ يَـا هَـارُونُ مَـا مَنَعَـكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَـلُّوا . . أَلَّا تَتَّبِعَـنِي . . أَفَـعَصَيْتَ أَمْرِي . . ﴾ .

أنشـأَ هـارونُ يقُـولُ ـ وهـو يُحـاولُ تَذكيرَ مُـوسىٰ بٱنتِمـائِهما لِأمٍّ واحدةٍ ، لكي تُثيرَ مَشاعرَ الحُنوِّ في نفسه :

﴿ قَـالَ : يَا ٱبْنَ أُمَّ لا تَـأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِـرَأْسِي . . إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُـولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ .

تـراخَتْ قَبضةُ مـوسىٰ التي تُمسـكُ بهارونَ قليلاً ، وعادَ هارونُ يقولُ :

﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَـوْمَ ٱسْتَضْعَفُـونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ ﴾ .

أَطلقَ مـوسىٰ سراحَ هـارونَ وهو لم يزلْ يرتَعِشْ . . سأَل :

ــ أَينَ السَّامريُّ ؟



بـرز السَّـامـريُّ ووجهُـه في لـونِ الليمونِ الأخضرِ . .

سأله موسىٰ :

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ؟

أعترفَ السَّامريُّ في مُحاكَمَتِه بكل شيءٍ . .

قـالَ كلُّ مـا حـدثَ . . تَفكيـرُه في ذهبِ المِصـريِّيـن ، والقَـبضـةِ الـتي

قَبَضَهـا من أثرِ الـرسولِ جِبريـل .

تحـدّثَ عن صِنـاعتِـه لِلعِجـلِ . .
وٱدّعائِه أنه إلٰهُ القومِ وإلٰهُ موسى . .

حين وصلَ السَّامريُّ لهذا الحدّ من ٱعتِـرافـاتِـه صمتَ فَجـأةً . . لم يكُن يَعرفُ ماذا يقُولُ . .

سأَلَه مـوسىٰ بِغضبٍ : لِماذا فَعلتَ ما فَعلتَ ؟

قالَ السَّامـريُّ مُنهاراً : ﴿ **وَكَـذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي** ﴾ .

هَكَـذا أمرَتني نفسي الأمَّـارةُ بالسُّوءِ . وصدر الحُكمُ على السَّامريِّ والعِجـلِ معـاً . . كمـا صـدَر الحُكمُ على الـذين ظَلمـوا أنفُسَهُم بِعبـادةِ العِجلِ . .

أما السَّامريُّ فقد حُكِمَ عليه بالوحدةِ في الحياةِ ، حُكِمَ عليه بالنَّفيِ داخلَ جسدهِ .

قالَ له موسىٰ : ﴿ **فَٱذْهَبْ فَـإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ** ﴾ .

هذا يَعني أن لا يَمسَّ أحداً أو يَمسَّـه أَحدٌ . . عقاباً له على مَسِّـه ما لم يكن ينبغي له مسُّه من ترابٍ سارَ عليه جِبريلُ عليه السَّلام . .



بعـد أن أصدرَ مـوسىٰ حُكمَه على مُـدبِّرِ الفِتْنـةِ حكمَ على أداةِ الفتنـةِ بالنَّسفِ ، أمرَ أن يُحرقَ العِجلُ الذهبُ ويُنسفَ وتُلقى بقـايـاهُ في اليمِّ . . لم يَكتفِ بصهـرِهِ أمـامَ عُيُـونِ القـومِ المَبهـوتينَ ، وإنمـا نسفَـه في البحـرِ نَسْفاً ، وتَحـوَّل الصنمُ المعبـودُ أمـامَ عيونِ المفتونينَ بـه إلى رمادٍ يتـطايرُ في البحرِ . . وٱرتفَع صوتُ موسىٰ والصنمُ يَحترقُ . . ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً** ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وما أعجلك عن قومك يموسى ۝ قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك
رب لترضى ۝ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ۝
فرجع موسى إلى قومه غضبن أسفا قال يقوم ألم يعدكم ربكم وعدا
حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم
موعدى ۝ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة
القوم فقذفنها فكذلك ألقى السامرى ۝ فأخرج لهم عجلا جسدا
له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ۝ أفلا يرون ألا يرجع
إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ۝ ولقد قال لهم هرون من
قبل يقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ۝
قالوا لن نبرح عليه عكفين حتى يرجع إلينا موسى ۝ قال يهرون ما منعك
إذ رأيتهم ضلوا ۝ ألا تتبعن أفعصيت أمرى ۝ قال يبنؤم لا تأخذ
بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرءيل ولم ترقب
قولى ۝ قال فما خطبك يسمرى ۝ قال بصرت بما لم يبصروا به
فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ۝
قال فاذهب فإن لك فى الحيوة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه
وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ۝
إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما ۝

صدق الله العظيم